

«أخذتكم . أخذتهم . أخذتهم» دون أخذه في هذه المجالة لموسى عليه السلام مما يدل على أن سؤال الروية كان لهم دونه ^(١) .

فلما يسأل هو الرؤية ولا تأخذه الصاعقة ثم لا يسقّه ولا ينسب إلى

(١) نور الثقلين ٢: ٦٤ في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن علي بن محمد الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] كيف يجوز أن يكون كلهم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا تجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ قال الرضا عليه السلام: إن كلهم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى منزّه عن أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله تعالى وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله تعالى كلمه وقربه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمائة ألف فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السلام إلى الطور وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى يسمعه من جميع الوجوه فقالوا: لن نؤمن بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقة وأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت في مناجاة الله تعالى إياك، فأحياهم وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك نظري إليه لأجابك وكنتم تخبرنا كيف هو ونعرفه حق معرفته؟ فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويكلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحتهم فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى سلني ما سألوك فلن آخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه «وهو يهوي» فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل «بآية من آياته» جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال: ﴿سُبْحٰنَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] منهم بأنك لا ترى، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن.

الظلم، فقد يتبين من ذلك أن السؤال إن كان للرؤية البصرية فهو ﷺ محمّل عليه منهم فيسألها ربه بعد إذنه تعالى إتماماً للحجة وإنارة للمحجة .

والقول إن: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ دون «أرهم ينظروا إليك» يرد ذلك التحميل، يردّ بأنه جائز على هامش قصده الأصيل من الرؤية القمة، وأنه جمع في ذلك السؤال بين أمرين ثانيهما ما تطلبوه ولكنه خص نفسه ليظهر لهم أن استحالة رؤيتهم أخرى بعد استحالة رؤيته، فقد قدم نفسه فيما حمّل تثبيتاً للسلبية الأخرى لهم في حقل الرؤية البصرية، والقول بأنه كان عليه - إذاً - كرسول أن يوضح لهم بطلان سؤالهم؟ مردود بأنه أبطله طول رسالته وهنا القصد إلى إبطاله عملياً حين تبطل رؤيته هو ربه على محتده الرسالي! .

ثم الأظهر الأخرى أن الرؤية المسؤولة هي قمة المعرفة الممكنة بالله، اللاتفة لأول العارفين والعابدین محمد ﷺ حيث إن تجليه تعالى «للجبل» لا «في الجبل» دليل تجلي القدرة الربانية التي لا يتحملها الجبل إلا أن يندك، ولا بدّ للمثال أن يشابه الممثل في أهم مواضعه، وهو هنا لو كانت الرؤية البصرية لله، لكان تجليه تعالى نفسه في الجبل دون ﴿تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ .

ثم ما هي الصلة بين إمكانية رؤيته تعالى لموسى وبين أن يستقر الجبل مكانه في ذلك التجلي، إلا أن يكون الجبل في ذلك التجلي مثلاً لموسى ﷺ أنه لا يستطيع التجلي المعرفي القمة لله ما دام هو موسى الذي لم يبلغ مبلغ أول العارفين إلا أن يموت في ذلك التجلي، ثم لا يفيد الموت أيضاً أن يتجلى له ربه في الحالة التجردية البرزخية، فإنما ذلك مخصوص بأول العارفين وخاتم النبيين محمد ﷺ حين ﴿دَنَا فَدَدَكَ﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . . . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (١٤) ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (٥٠) ﴿(١)﴾

(١) سورة النجم، الآيات: ٨-١٥ .

ولو لم يكن مُكَلَّفًا باستمرارية هذه الرسالة التي تتطلب مواجهة الخلق لم يخرج عن هذه الحالة التجردية المعرفية القممة، خارقة لكافة الحجب الظلمانية والنورانية بينه وبين الله، حتى حجاب نفسه، فلم يبق - إذاً - حجاب لتلك المعرفة، إلا ذات الله التي لا ترتفع لأحد^(١) وهنا:

أز آن دیدن که غفلت حاصلش بود دلش در چشم وچشمش در دلش بود
والتفصيل راجع إلى آيات الأسرى.

ذلك، وعَلَّه سأل ربه بلفظة طلبية الرؤية التي ظاهرها طلبية قومه، وهو يعني بها طلبته نفسه، جمع جميل ما أجمله يجمع بين الأمرين الأمرين الإمرين، فليس يؤنب موسى بالأول لأنه سؤلهم، ولا بالثاني لأنه سؤلته قضية الشغف البالغ في سلك المعرفة الربانية^(٢).

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ في هذه الإراءة الربانية، ف ﴿رَبِّ﴾
مما تلمح أنها رؤية معرفية بعناية ربانية.

وقد وردت الرؤية في العلم والمعرفة بغير البصر في آيات عدة، بل هي أقوى من رؤية البصر، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٣) ليوسف حيث منعه عن أن يهّم بها، ليست إلا الرؤية المعرفية المعصومة لساحة الرب.

(١) نور الثقلين ٢: ٦٦ في كتاب التوحيد خطبة للنبي ﷺ وفيها: فتجلى، ومن خطبة الرضا ﷺ: متجلّ لا باستهلال رؤية، أقول: وتفصيل البحث حول الرؤية المذكور على ضوء ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] فراجع.

(٢) وقد يساعد كون سؤاله عن الرؤية المعرفية ما رواه في العلل عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه سئل مِمَّ خلق الله ﷻ الذر الذي يدخل في كوة البيت! فقال: إن موسى ﷺ لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال الله ﷻ: إن استقر الجبل لنوري فإنك ستقوى على أن تنظر إلي وإن لم يستقر فلا تطبق إيصاري لضعفك، فلما تجلى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع فقطعة ارتفعت في السماء وقطعة غاصت في تحت الأرض وقطعة بقيت فهذا الذر من ذلك الغبار غبار الجبل، أقول: وإن كان في ذيله شيء من الغرابة.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

كما أن ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١) هي رؤية الفؤاد، وهو هنا القلب المتفتد بنور المعرفة التامة الطامة قلب العارف وكل كيانه، وهكذا ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾^(١٣) عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى^(١٤) ﴿(٢)﴾^(٣).

ومن رؤية العلم: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتُكَ وَفَوَّامِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤) ﴿أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾^(٥) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٣) في معاني الأخبار للصدوق بإسناده عن هشام قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين فقال له معاوية بن وهب: يا بن رسول الله عليه السلام ما تقول في الخبر المروي: إن رسول الله عليه السلام رأى ربه؟ على أي صورة رآه؟ وفي الخبر الذي رواه أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، على أي صورة يرونه؟ فتبسم ثم قال: يا معاوية! ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة وثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته ثم قال: يا معاوية إن محمداً عليه السلام لم ير الرب تبارك وتعالى بمشاهدة العيان وإن الرؤية على وجهين: رؤية القلب ورؤية البصر فمن عني برؤية القلب فهو مصيب ومن عني برؤية البصر فقد كذب وكفر بالله وآياته لقول رسول الله عليه السلام: من شبه الله بخلفه فقد كفر، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له: يا أخا رسول الله عليه السلام هل رأيت ربك؟ فقال: لم أعبد رباً لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان، وإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق ولا بد للمخلوق من خالق فقد جعلته إذاً محدثاً مخلوقاً ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً، ويلهم ألم يسمعوا لقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله لموسى: ﴿إِن تَرَنِى فَلَئِن لَّيُرَى رَبُّهُ لَيَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُنْزَلِينَ سَوَاءً﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط فدكدت الأرض وخرّ موسى صعقاً - أي ميتاً - فلما أفاق ورد عليه روحه قال: سبحانك تبت إليك من قول من زعم أنك ترى ورجعت إلى معرفتي بك أن الأبصار لا تدركك ﴿وَأَنَا أَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بأنك ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى.

أقول: غير المصدق من هذا الحديث هو موت موسى ثم حياته لمخالفة النص.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

(٥) سورة هود، الآية: ٢٩.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٢).

ومن رؤية المعرفة بالتدبر ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٥).

وهكذا نجد استعمال الرؤية في مثلث العلم، والمعرفة بالتدبر، والمعرفة بالجهد، والأخيرة هي المعنية من رؤية الله، ولأنها درجات حسب درجات العارفين فهنا الجواب لموسى:

﴿... قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ ف ﴿لَنْ﴾ تحيل الرؤية المطلوبة وهي بين إحالة أصلية فيما يراد رؤية البصر، ورؤية نسبية في رؤية البصيرة - القمة - الخاصة بأول العارفين، فأنت يا موسى ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ لا هنا ولا في الأخرى ما دمت أنت موسى المحدود بحدودك، فلو رقيت إلى مرقى محمد ﷺ لكنت تراه كما راه هو بنور المعرفة القمة، ولكن رؤية البصر مستحيلة على أية حال وبأي مجال.

إذ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٦) فالحرطقات الغائلة القائلة أن «وعده الله أن يقعد في موضع ليراه»^(٦) وما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٢) سورة الفيل، الآية: ١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٥) سورة النور، الآية: ٤١.

(٦) كما في نور الثقلين ٢: ٦٣ عن تفسير العياشي عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: إن موسى بن عمران ﷺ لما سأل ربه النظر إليه وعده الله أن يقعد في موضع ثم أمر الملائكة أن تمر عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق فكلما مر به موكب من المواكب ارتعدت فرائضه فيرفع رأسه فيسأل: أفيكم ربي؟ فيجاب: هو آتٍ وقد سألت عظيمًا يا بن عمران.

أشبهه، هي مضروبة عرض الحائط لمضاداتها نصوص الكتاب ودليل العقل والفترة.

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ جبل الطور وهو مهبط الوحي ومحطه ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ بتجلي الرب له في قدرة وقوة لا يتحملها ﴿فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ في تجلي المعرفة القمة التي لا تتحملها وهنا ﴿سَوْفَ﴾ في معاكسة الأمر تسلب تلك الرؤية في طليق المستقبل في الأولى والأخرى وإلا كان الصحيح «فستراني» أو «تراني».

﴿فَلَمَّا بَجَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ما لا يتحمل ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾^(١) لا يستقر مكانه حيث تمزق وتفرق أيادي سبأ، وبالنتيجة ﴿وَحَرَّ مُوسَى﴾ من تلك الواقعة القارعة ﴿صَعِقًا﴾ إذ حرّ مغشياً عليه ولم يمت إذ ليست الصعقة هي الموت ثم هو الذي قال لما أخذتهم الرجفة ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائْتِي﴾^(٢) وذلك رغم أن التجلي كان للجبل دونه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ عن صعقته، والإفاقة ليست إلا عن الغشوة والخروج عن الوعي دون الموت، فمهما استعملت الصعقة أحياناً في الموت ولكنها هنا الغشوة دون الموت وكما قال: لو شئت أهلكتهم وإياي، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أن ترى بعين البصر، أم أن ترى بعين

(١) نور الثقلين ٢: ٦٦ عن كتاب التوحيد حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه - وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات - وسأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من حمد الله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً وسأل أمراً جسيماً فعوقب فقال الله تبارك وتعالى: لن تراني في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فأبدى الله سبحانه بعض آياته وتجلي ربنا للجبل فتقطع الجبل فصار رميماً وحرّ موسى صعقاً ثم أحياه الله وبعثه فقال عليه السلام : ﴿سُبْحَانَكَ بُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني أول من آمن بك منهم أنه لن يراك، أقول: هذا الحديث مخدوش في مواضع عدة منها «فوقب» كأنه سأل الرؤية البصرية، فلو سألهما وكان عصياناً فكيف وعده أن يراه في الآخرة؟.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

البصيرة فوق ما أتحمل ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عما سألت ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك أنك لا ترى.

وهذه الأولوية ليست زمنية، بل هي في المكانة الإيمانية - ولأقل تقدير - بالنسبة لمن يعيشهم، ثم ومن قبله دون من بعده، إذ إن محمداً ﷺ هو «أول العابدين» على الإطلاق، ولو كان موسى أول المؤمنين في مثلث الزمان لكان يريه ربه نفسه في حقل المعرفة القمة وأحرى من محمد ﷺ، ولكن أين موسى ﷺ من محمد ﷺ وهو الرسول إلى الرسل أجمعين.

فالله تعالى يتجلى بقدرته لخلقه قدر ما يتحملون، فإن تجلى فوقه فدكاً دكاً، كما يتجلى بآياته وكما يروى عن النبي ﷺ: «فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو بالمنظر الأعلى»^(١): منظر البصر - فهو أعلى من أن ينظر إليه على الإطلاق - ومنظر البصيرة الأعلى وهو المعرفة القمة العليا الخاصة بمحمد ﷺ^(٢).

أجل، إن الله متجلٍ لخلقه قدر المقدور لهم والمقدر لباقه ولياقة في مسالك المعرفة، ثم التجلي القمة خاصة بمحمد ﷺ وذويه من بعده.

ذلك، فسؤال الرؤية البصرية لذات الله ليس إلا من أجهل المجاهيل بكيان الألوهية، فالذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ف ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٤) كيف بالإمكان أن يُرى نفسه للأبصار، إلا بتحويل الإله المجرد عن كيانه إلى كيان خلقه، أم تحويل خلقه إلى كيانه لتتسنى الرؤية بتلك المماثلة.

(١) تفسير روح البيان ٣: ٢٣١ روي عن ابن عباس.

(٢) التوحيد عن الإمام الصادق ﷺ.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وحيث لا تُحس أية حاسة أي محسوس إلا ما يساميه أو يساويه في حقل الإحساس، فلا يحس الطعام باللامسة ولا يلمس بالباصرة ولا يبصر بالسامعة، ولا يسمع بالباصرة، فكيف يرجى أن يحس أو يمس أو يجس غير المحسوس بأحد من الحواس الخمس، في أي من عوالم الوجود.

ولأن المستحيل ذاتياً لا تتعلق به القدرة فلا يمكن أن يري الله نفسه رؤية البصر، اللهم إلا رؤية البصيرة المستطاعة لمن يبصر.

فرؤية الرب منها مستحيلة ذاتية هي بإبصار ذاته تعالى حيطة ببصر أم بصيرة، إدراكاً إياه، إذ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، أم نسبية هي البصيرة معرفة بالقلب، بمرتبة هي أعلى من محتد الرائي، كما المعرفة القمة لموسى ﷺ، أم ممكنة مأمور بها وهي سائر درجات المعرفة الربانية لسائر الخلق أجمعين، فعلى كل قدر مستطاعه من معرفة الله وعبوديته و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

فمثل ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴿مُوجَّهَةٌ إِلَىٰ وَجْهِهِ﴾ (٢٤) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤) ﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥) ﴿أَرِنِي﴾ (٢٦) حيث الظن هو من أفعال القلوب.

فمهما يكن من شيء هنا، من أقصى دلالة النص، أن موسى تطلب الرؤية وهي بين مثلثها، فلتفسر بمحكمات ك﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وبعينها محكمات أدلة العقول والفطر، التي تحيل الرؤية بالبصر، ثم رؤية المعرفة المستطاعة بحول العارف وقوته لا تحتاج إلى ﴿أَرِنِي﴾ كما وأن محمداً ﷺ ﴿رَأَاهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾ دون تطلب لها: ﴿أَرِنِي﴾ فلم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

تبقى إلا الرؤية فوق المستطاعة، الممكنة في ذاتها وهي المعرفة القمة، وبجنبها نقل لتطلب قومه بما أذن الله .

ذلك، وليست الرؤية المعرفية تعني كل درجة منها، وإنما البالغ فيها ذروة من اليقين لحدّ يصح التعبير عنها بأنها رؤية فـ «اعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فالرؤية الأولى هي محسوبة بحساب الرؤية المعرفية البالغة ولها درجات أعلاها الرؤية المحمدية إذ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) ﴿أَقْتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) ﴿(١)﴾ (٢) .

فالحجاب عن الرب الممكن خرقه هو حجاب المعرفة برين القلوب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) ﴿(٣)﴾ فتلك إذا هي رؤية القلب المحجوب برينه .

ذلك، وموسى الرسول الذي لا تصعقه الآيات الكبرى الربانية إلا خوفاً مّا لأول وهلة، انقلبت عصاه حية تسعى، هذا الرسول يصعقه اندكاك الجبل بما تجلى له ربه، حيث كانت سائر الآيات تجليات مستطاعة لما تجلى له مهما كانت خارقة العادة، وهذه غير مستطاعة للجبل بذلك التجلي فوق الطاقة له .

هذا، ويعاكس نصّ القرآن في استحالة الرؤية المطلوبة نصّ التوراة في واقعها كما في سفر الخروج ٢٣ : ٩ ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمدّ يده إلى أشرف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا! .

(١) سورة النجم، الآيات: ١١-١٤ .

(٢) المصدر .

(٣) سورة المطففين، الآيات: ١٤، ١٥ .

وحصيلة البحث في حقل الرؤية أنها - على أية حال - هي الوصول إلى المرئي بعين اليقين فوق علمه، ثم وحق اليقين بمراتبها، فإن كانت بالبصر فكما تناسبه، وإن كانت بالبصيرة فكما تناسبها، والرؤية الحيطية المعرفية بالله مستحيلة على من سوى الله في كافة النشآت إذ لا يحيط المحدود باللامحدود، والمعرفة القمة العليا التي لا تساوى ولا تسامى هي خاصة بأول العابدين محمد ﷺ في كافة النشآت مهما كانت في الأولى أضيق دائرة قضية ضرورة المواجهة الرسالية مع المرسل إليهم، ولا يشاركه ﷺ أي من السابقين والمقربين من جبريل الأمين والروح وسائر المعصومين عليهم سلام الله أجمعين، وهذه هي التي تطلبها موسى من ربه - كما سمع الكلام فطمع في الرؤية - فأجيب بـ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ المحيلة لتلك الرؤية له في الدنيا والآخرة، والرؤية البصرية هي بديهية الاستحالة في كافة الموازين والمقاييس.

و﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ هي أظهر في استحالة تلك الرؤية المطلوبة المعرفية من البصرية، فإن كان القصد إلى الرؤية البصرية لكان النص «لا أرى» دون ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ و﴿لَنْ﴾ إذا تحيل تلك الرؤية الخاصة لموسى ﷺ لأنه أدنى محتداً منها، وحين لا تصل بصيرة المعرفة الربانية الموسوية إلى تلك القمة السامقة فهل يصل بصر المعاينة لقومه وأضرابهم إلى رؤية ذاته القدسية؟! .

وعدم استقرار الجبل مكانه لما تجلّى ربه له يقرر الاستحالة النسبية لتلك الرؤية المعرفية لموسى ﷺ . ومما يؤكد عناية الاستحالة لمدخول ﴿لَنْ﴾ - ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لله أن يكون يرى، ولا تتقيد «سبحان» بزمان دون زمان وإلا فلا سبحان، ف «سبحان» في كلِّ مجالاتها تنزيه لله عما يمس من كرامة ألوهيته وربوبيته، كما و﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هما الأخريان من آيات استحالة تلك الرؤية بصرًا أم بصيرة.